Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستعارات من الحقيقة لشدة ملاءمة معناها لمعنى ما استعيرت له[٣٧] . وأول كلام الآمدى غير آخره ، فإن تكن الاستعارة لائقة ملائمة فهذا مطلب أساسى ، وأما أن تكون منتظمة لجميع النعوت فهذا قول يمكن أن يكون عميقا جدا إن دل على قوة الإدراك الموحد بين المستعار منه والمستعار له ، دون أن يعنى ذلك دقة التفاصيل أو تناظرها بينهما ، وهو ما أراده الآمدى للأسف فى تحليل الاستعارة ، وبهذا التصرف المضاد لطبيعتها يلتوى بها لتصير هى والتشبيه سواء .

ولكن : ما الذى يقوم به التركيب الاستعارى ؟

إن إدراك التشابه فى التباين هو منبع الاستعارات ، وهذا التشابه المكتشف يشبع الحنين الإنسانى إلى النظام والكمال ، وهذا مصدر لذة كبرى تحققها الاستعارة ، فهذه الصلة الروحية بين الأشياء الساعية إلى التوحد فى مخيلة الإنسان تعبر عن رغبة عميقة للعقل الإنسانى فى اكتشاف النظام فى العالم الخارجى ، وبناء استعارة جيدة يعنى إشباع جزء من تطلع العقل إلى إسباغ النظام على ما حوله[٣٨] وقدرته على التأثير فيه ، وهذا هو معنى العلاقة ، فالعلاقة نفسها معنى ، وهو معنى تبادلى – وهذا هو الجانب الذى لم يلتفت إليه المنظرون فى البلاغة العربية – فحين سمى بن جونسون الزنبقة « شجيرة النور وزهرته » كان يخبرنا أساسًا بشىء عن الزنابق ، وثانويا كان يخبرنا بشىء يتعلق بالنور ، ولكنه كان يفعل ذلك أيضا بطريقة تغنى تجربتنا مع الزنابق ، ومن ثم سنكتشف أن ثلاثة أشياء قد جدلت أو ركبت بطريقة لا يمكن فيها فصل عنصر عن الآخرين : معنى النور يعطى الزنبقة ، والمعنى الذى يعطيه النور للزنبقة ، والمعنى الذى تعطيه الزنبقة للنور[٣٩] . هذه الأضلاع الثلاثة تتوحد – وليس تتلاقى – لتصنع علاقة ذات معنى بين النور والزنبقة ، وهذا المعنى يستخلصه كل قارئ من سياق القصيدة . والقول بحنين العقل إلى الاستعارة نابع من نظرية أخرى سبقت الإشارة إليها ، ترى أن المجاز هو اللغة الأصل ، وأن الاستعارة هى اللغة الإنسانية الأولى ، التى ظلت تحافظ على ازدواجية المعنى حقبا طويلة ، بالربط بين المشاهد وأثره الباطنى[٤٠] ، فمن الصحيح ما يلاحظ من أن النقد

---

(٣٧) الموازنة : جـ١ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠

(٣٨) C. Day Lewis. The Poetic I mage, P. 35.

(٣٩) Ibid, P. 35.

(٤٠) انظر أيضا : مصطفى ناصف : الصورة الأدبية – ص ١٢٦ .